الوثيقة الفكرية

ميدان
MAYDAN

maydaneg25 maydaneg maydaneg1 maydaneg.com

تمهيد

نشهد في هذه الأيام واحدة من لحظات ثورة الأمة ويقظتها وجهادها الممتد عبر تاريخها المجيد، فنحن أمة لا تباد ولا تفنى ولا تُسْتَأصَل كما وعدنا الله ورسوله، وقد عجز عن تحقيق ذلك فينا أولئك المحتلون الذين استطاعوا إفناء أمم وإبادة حضارات، وتأسيس ممالكهم المتجبرة على أنقاضها.

ولم يكن عجزهم هذا إلا لأننا أمة الإسلام، ولأن الإسلام قد بعث فينا من ضعف الجاهلية وعجزها وتفرقها أمة واحدة عظمى، انتقلت من الضعف والذلة إلى أن تكون قوة عظمى عالمية في عشر سنوات، ثم لم تزل على عرش الحضارة الإنسانية مدة ألف سنة فيما بعد. لقد قالها عمر: "كنا أذل قوم، فأعزنا الله بالإسلام، فمهما ابتغينا العز في غيره أذلنا الله وهو ما كان فقد ذللنا لما نسينا ديننا وضيعناه، وإنما نقاوم بقدر ما بقي فينا من الإسلام، وبهذا القدر نستعصي على المحتلين الجبارين.

ومثلما ملأنا سنوات عزنا جهادا وفتحا وتمكينا وكنا رحمة للعالمين وإنقاذا للبشر من الجبابرة، ملأنا سنوات ضعفنا مقاومة وكفاحا وصمودا وكنا مثالا على الأمة الحية التي تفجر في كل أرض مقاومة، وفي كل حين ثورة. ومهما تباعدت الأطراف والديار كان الإسلام هو الراية الواحدة المرفوعة من أقصى الشرق في إندونيسيا وتركستان إلى أقصى الغرب في المغرب ومالي وموريتانيا، والتقى في ثوراتنا وساحات كفاحنا الشامي والحجازي مع المصري والعراقي و المغاربي، العربي مع الفارسي مع التركي مع الكردي، ولما أرهق المصريين طاغوتهم ردد المشرق والمغرب معا "لا إله إلا الله، محمد رسول الله، السيسي عدو الله"، فاختصروا بذلك ما تطول في شرحه الصفحات: أمة مسلمة واحدة مجاهدة.

ومثلما كان المجاهدون طليعة الأمة وصفوتها في أيام عزها وتمكينها، فإن الثوار المقاومين هم طليعتها في أيام نكبتها واستضعافها، فهم خلاصة الأمة وبقيتها وأنقاها، يهلكون أنفسهم في سبيلها عن طواعية واختيار بل عن حب ورضا، يخوضون المعارك مهما لم تكن متكافئة بميزان العدد والعدة، شعارهم كما قيل :

سأحمل روحي على راحتي .. وألقي بها في مهاوي الردى
فإما حياة تسر الصديق .. وإما ممات يغيظ العدا

ونحسب أنه لم يبق إلا أن تجتمع هذه الطاقات النقية والسواعد الفتية والنفوس الأبية في عمل تديره عقول ذكية وقلوب زكية وبصائر سويّة، فتكون المعارك على بصيرة، فتجد التضحيات من يمهد لها ثم يرافق سيرها فيحسن توجيهها ثم يقطف ثمرتها فيجيد البناء عليها.. فذلك هو التيار الإسلامي الثوري.

1 التعريف بالحركة

من نحن؟

نحن ثلة من أبناء التيار الإسلامي الثوري نؤمن بأن الإسلام وحده هو القادر على تحرير أمتنا وإطلاق طاقتها وبناء نهضتها، وأن هذه النهضة هي فاتحة الخير للعالم وأول خطوة قوية في إنقاذ الإنسانية كلها، ونؤمن أيضا أن الأمة تمتلك كل مقومات النهوض الروحية والمادية وما عليها إلا أن تحسن تفعيلها وترتيب أولوياتها في المعارك والميادين.

ماذا نريد؟

نريد حشد طاقات التيار الإسلامي الثوري كنواة صلبة، في أهم معارك الأمة الحالية وهي معركة الثورة المصرية والتي تؤثر نتيجتها على الأمة كلها، ونريد توجيه هذه الطاقات في مواجهة نظام الخيانة والعمالة لإسقاطه بتثوير الشعب وتمكينه من امتلاك قراره وإرادته.

2 المبادئ والمنطلقات

مبادئنا ومنطلقاتنا هي مبادئ الإسلام، لا نخرج عنها قيد شعرة، وكيف نخرج ونحن نؤمن أنها ديننا الذي نعيش له ونموت في سبيله وعليه سنحاسب أمام الله؟! ومع ذلك فإن ضرورة الإيضاح وواجب البيان وواقعنا الحالي يحملنا على ذكر بعض الأمور لما غلب على كثيرين من غموض لمبادئ الإسلام، ولتحديد واجب الوقت.

- الإسلام دين الله، ومنهجه الذي أنزله لإصلاح أحوال الناس، وهو عالميُ لكل البشر، وفضل الإسلام على سائر المناهج والفلسفات كفضل الله على عبيده، والفارق بينه وبين غيره كالفارق بين الحق والباطل، وهو تحرير للبشر من عبودية البشر، فما من فلسفة وضعية إلا وهي تعبيد الناس لبعض الناس، وهذا التحرير الإلهي هو أقوى ما يدفع المستضعفين لمواجهة الظالمين، وأقوى ما يفجر طاقات الخير والنبل والإحسان لجميع الناس.

- من هنا فإن نظام الحكم في الإسلام يقوم على الشريعة، فهي المرجعية العليا التي يخضع لها الحاكم والمحكوم، ومنها تستخرج حقوق الحاكم ولا حق له فوق ذلك، ومنها تستخرج واجبات المحكومين ولا واجب عليهم فوق ذلك، وهذا ما يقطع طرق الطغيان على الحكام ويفتح طرق المقاومة للمحكومين ومنها عرفنا أننا أمة واحدة يحرم أن تفترق وتتمزق.

ومن أجل هذه الوحدة قاتل الصديق مطلع الخلافة الراشدة وقاتل عليٌّ في أواخرها، ولو لم تكن الوحدة فرضا شرعيا لكانت ضرورة واقعية، والأمة المستضعفة أحوج ما تكون إلى الوحدة.

ومن الشريعة عرفنا أن الأمة هي صاحبة الحق في تولية الحاكم، وصاحبة الحق في مراقبته ونصحه تقويمه، وصاحبة الحق في خلعه وعزله سلما أو حربا، فالحكم في الإسلام شورى (وأمرهم شورى بينهم) ولا يتولى الأمةَ أحدٌ إلا من ترضى به وتبذل له بيعتها، ونحن الأمة الوحيدة التي تنتقص من ملوكها العظام وسلاطينها الكبار مهما كان إنجازهم عظيما لأن بيعتهم لم تكن بالرضا والاختيار كبيعة الخلفاء الراشدين.

وأما هذه الأنظمة التي تحكم عالمنا الآن فليست منا ولسنا منهم، وإنما هم أدوات الاستعمار ورجاله وصنائعه وعملاؤه، وإنما نصبهم علينا في فترة ضعفنا ونكبتنا، وهو يدعمهم ويسندهم، وإذا جدَّ الجدُّ نزل بنفسه ليحمي عروشهم، وما يحمي إلا عرشه ونفسه ونفوذه، فليست لهم في الإسلام شرعية لا تامة ولا حتى ناقصة، وإنما هم كالاحتلال الأجنبي سواء بسواء، فلا يقاس عليها أحد من خلفاء الأمويين والعباسيين والعثمانيين وغيرهم، فأولئك من الأمة مهما بلغ انحرافهم، أما هؤلاء فعملاء الأجنبي المحتل مهما زعموا أنهم مؤمنون.

وهذه الدولة الحديثة المركزية السلطوية التي تسود علينا، إنما هي نموذج استعبادي استعماري احتلالي، وقد فُرِض علينا لتمزيق وحدتنا وضرب انتمائنا وصناعة ولاءات وهويات جديدة بديلة عن الهوية الإسلامية، ثم إنها نموذج تسلطي هدفه التحكم فينا والسيطرة علينا والقهر فوقنا، فالأمة يُفرض عليها ويؤخذ منها كل شيء بالإجبار: تفرض عليها الأفكار بالتعليم الإلزامي، وتؤخذ منها الأموال بالضرائب الإلزامية، بل تؤخذ منها الأرواح بالتجنيد الإجباري، والفرد عبارة عن مجموعة من الأوراق التي تكشف كل شيء عنه، وهو بدون أوراق كأنه ميت غير موجود! فلا يعترف به إذا وُلِد بغير شهادة ميلاد ولا يُستطاع دفنه بغير تصريح دفن! والعدو الأجنبي المحتل المهيمن هو أحرص الناس على تحويل عالمنا إلى مجموعة من الدول الحديثة.

إن السعي في رفع المظالم ورد الحقوق ونصرة المستضعفين وإغناء الفقراء هو نداء الفطرة وصلب الشريعة وآية الرجولة والمروءة وحقيقة الدين، ففي ديننا أن الذي لم يرفع الظلم كالظالم، وأن الذي بلغه ظلمٌ فرضي به كان كمن فعله، وأن الأمة تذهب خيريتها إن لم تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتردع الظالم، بل الأمة لا يستجاب دعاء صالحيها إن تركت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والانتصار لحقوق الناس. وهذه أمتنا قد صارت مسرح المظالم والهزائم، بل هي الفريسة التي تداعت عليها الأمم والتقى على نهشها السفاحون.

لهذا كله فإن الثورة حقٌ وواجب شرعي، وهي ضرورة واقعية، وهذه الثورات العربية هي بشير اليقظة والنهوض، وبداية التحرر والاستقلال، وهي ثورة أمة واحدة، تبدأ في مكان فتنتشر لكل مكان، ويتحد ضدها أعداء الأمة حلفا واحدا، وعلى إخمادها تلتقي أهدافهم وأغراضهم، ويتبادلون الأدوار بين السياسة والحرب والمكر والتدمير.

ولما أتيح لهذه الثورات التنفس رفعت جميعها شعار تحرير بيت المقدس، فمعركة القدس هي معركة الأمة بل هي معركة العالم، وإسرائيل كلها ليست أكثر من قاعدة عسكرية غربية متقدمة في بلادنا، فهي القضية المركزية للأمة دينيا وسياسيا وعسكريا وثقافيا، وهي الكاشفة للعملاء من الأوفياء، وبقاؤها حية في نفوس الأمة هو بقاء الأمة حية، فإذا غابت أو ماتت وهو لا يكون أبدا فقد أصيب عقل الأمة وقلبها في مقتل.

وهـذه المهمـة الكبـرى التـي تشـمل الأمـة كلهـا، أعظـم وأثقـل وأكبـر مـن أن تتكفـل بهـا حـركات أو جماعـات أو أحـزاب أو حتـى دول مشـتتة متفرقـة، وإنمـا هـو دور الأمـة كلهـا، ولـن تفلـح حركـة أو جماعـة أو دولـة حاولـت خـوض المعركـة دون أن تجعلهـا معركـة شـعبية عامـة تسـتثمر فيهـا طاقـات الجميـع وتتحمـل تكاليفهـا كواهـل الجميـع! ولئـن قلنـا إن بيـت المقـدس هـو القضيـة المركزيـة للأمـة، فتثوير الشعوب هو القضية المركزية للعاملين.

إن التحـرر والنهـوض صـراع طويـل مريـر هائـل التكاليـف، لا تأتـي بـه الأمانـي ولا يعتمـد على الأحلام والأوهـام، بـل ولا تأتـي بـه البسـالة مهمـا كانـت عظيمـة، ولا الإقـدام مهمـا كان مـذهلا، كمـا لا يأتـي بـه العقـل وحـده مهمـا كان ذكيـا داهيـة، إنمـا هـي معركـة واسـعة وعظيمـة ومعقـدة، تتضافـر فيهـا البسـالة مـع الحكمـة، والإقـدام مـع الـذكاء، والقوة مع الحلم.

3 الأهداف الكلية

- نشر ما طُمِس من معالم الإسلام التي توجب التحرر والمقاومة وتثير العقول والقلوب نحو العزة والكرامة وامتلاك الرأي والعزيمة والإرادة، ببث الوعي بأحكام الإسلام وتعاليمه وتاريخ رجاله وأبطاله، وأنها فوق كل منهج آخر من مناهج البشر. فهذا الوعي هو أول دفقة في طاقة العمل والحركة نحو النهوض والتمكين.

- ردُّ الحقوق ورفع المظالم ونصرة الفقراء والمستضعفين، وإحسان توزيع الثروة بالعدل، وأن نبذل جهدنا وطاقتنا لئلا يتمتع ظالم بحق مغصوب، وألا يبيت جبار إلا وهو خائف مرعوب، فيستعيد المظلوم حقه، ويسترد الفقير حظه، شعارنا مقولة خيرنا وسيدنا: الضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ الحق له، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه فإما فعلنا ذلك بأيدينا ما استطعنا، وإما حرضنا عليه حتى نستطيع أونهلك دون ذلك.

- تمكين الشعب ليحكم نفسه بنفسه، فيختار من يكون رئيسا عليه، وكيلا عنه لا قاهرا عليه، وبه يتمكن الشعب من موارد قوته ومصادر ثروته، وإحياء روابطه الاجتماعية التكافلية التي تُسْحَق تحت ضغط الدولة، وبناء نظامه الاجتماعي والسياسي والاقتصادي ليكون هو مالك أمره وصاحب قراره، فتكون مؤسساته شعبية طبيعية لخدمته لا للسيطرة عليه، وتكون حصنا له من الاستبداد والفساد .

4 مسارات العمل

ونؤمن أن هذه الأهداف النبيلة العالية لا يُوصل إليها بغير عمل متكامل في مسارات عديدة، تتضافر فيما بينها ويدعم بعضها بعضا، من أبرزها:

- **العمل السياسي:** الذي ينتبه لمراكز القوة وصناعة القرار وشبكات النفوذ والمصالح المهددة للأمة، كما ينتبه لقوى الأمة الحية وأشكال الاستفادة منها وتأمين التعاون بينها وجمعها في مشروع سياسي يكون طرفا قويا في معادلة القوة الحاكمة.

- **العمل الجماهيري:** الذي يزيل من نفوس الناس طبائع الضعف والذل والاستبداد، ويُذَكِّرُهم بقوتهم وقدرتهم وطاقتهم الهائلة، ويعرفهم على أشكال الخداع والتآمر السلطوي، ويوجههم لمسارات العمل والتغيير، فالجماهير المسلمة هم الأمة، وهم الحاضنة، وهم مادة التغيير وأصله، كما أنهم أهله ورجاله والأقدر عليه.

- **العلاقات والاتصال:** التي نتصل بها مع كل ثائر أو داعم للثورة أو محب لها، بل وحتى المتخوف منها، ونحن على يقين بأن كل الخلافات بين المؤيدين المخلصين للثورة إما خلافات يمكن حلها أو يمكن تأجيلها، كما نؤمن أن المتضررين من الظلم هم الأكثر، فإذا كان بينهم من التواصل والثقة حدٌّ أدنى فلا شك أنهم يحسنون جمع طاقاتهم ومواردهم وتوزيع الأدوار فيما بينهم.

- **العمل الإعلامي:** الذي يقاوم التحريف والتخريف والتزييف المنهمر من وسائل إعلام الاستبداد والاحتلال ويجتهد في إيصال صوت الحق إلى الأسماع والأبصار، ونحن نؤمن أن لكلمة الحق صولة تزيل ما للباطل من أثر، فإنها مسكونة بقوة الحق مباركة ببركة الله فيها، وكم رأينا وشهدنا كلمة حق ضعيفة تهتز لها أبواق الباطل الضخمة، وتجد طريقها الممهد إلى العقول والقلوب، فالحق يسكن فطرتهم، ولا يحتاج إلا لإحسان البيان.

5 سياسات العمل

نـرى أن كل عمـل يهـدف للوصـول إلـى غاياتـه فلا بد له من منهج عام، أبرز خصائصه:

- **التخصـص:** الـذي يخرجـه مـن الضعـف إلـى الكفـاءة، ومـن الركاكـة إلـى الإتقـان، ومـن الهشاشـة إلـى الإحـكام، ولا يتـم هـذا دون خبـرة في مجـال العمـل، فلا بـد مـن الـذي يتولـى عمـلا أن يكـون مـن أهـل الخبـرة والتخـصص فيـه.

- **الشـورى:** التـي تخـرج العمـل مـن الانفـراد والاسـتبداد بالـرأي إلـى تمحيـص الآراء وتقليـب وجـوه النظـر، والشـورى أصـل في ديننـا، وكان سـيدنا عمـر يجمـع للمسـألة الفرعيـة أهـل الـرأي، فكيف بمسائل الأمة الكبرى؟

- **اللامركزيـة:** التـي تخـرج العمـل مـن البـطء والقيـود التنظيميـة والإداريـة، بـل يعمـل الجميـع وفـق مسـارات عامـة وخطـة مرنـة واسـعة يجـد فيهـا كل متخصـص واجباتـه وينطلـق فيهـا بنفسـه، ثـم يؤلـف بيـن الجهـود مـا أمكـن ويقيننـا أن العامليـن المخلصيـن سـيلتقون ويتكاملـون في مراحـل الطريـق، وثغـور العمـل أكبـر وأوسـع مـن محاولـة ضبطهـا في تنظيـم مركـزي.

الانفتاح والتعاون: الذي يخرج العمل من أمراض الحزبيةالشللية والانغلاق والنفعية والتنافس على المكاسب الضيقة والمصالح المحدودة، ويحقق أمر الله بالتعاون على البر والتقوى، وأمره بإحسان الظن وبإعذار المخالف وإن نحن لم نسبق إلى التعاون لخطأ أو ضعف فإن من بادر فاقترب منا شبرا اقتربنا منه ذراعا، ومن أتانا يمشي أتيناه هرولة.

6 قضايا هامة

من آثار الهزيمة والضعف أن فرض علينا عدونا عددا من القيم، ونصب لنا محاكم التفتيش ليختبر إيماننا بها، ولأننا الطرف الأضعف فكريا وثقافيا فنحن مضطرون إلى استعمال مصطلحات وألفاظ لم يعرفها تاريخنا ولا جاءت في تراثنا، ولكن كثيرا منا أو من غيرنا تلتبس عليهم معانيها، ويحبون أن يتعرفوا من خلالها على أي راية جديدة وإلى هؤلاء نكتب هذه السطور المختصرة.

1 الديموقراطية

الديمقراطية لفظ يلتبس معناه، فبعضهم لا يعرف منه أكثر من أنها تعني الحق في اختيار الحاكم وفي مراقبته وفي عزله من خلال طرق سلمية قانونية مستقرة، وهذا المعنى هو معنى شرعي صميم موجود في ديننا. ولكن البعض الآخر يفهم أن الديمقراطية هي حق الشعب في السيادة وفي التشريع منفلتا من أية مرجعية دينية، وهو يسوقها بهذا المعنى صراحة أو تلميحا، فهذا المعنى الآخر هو صميم المناقضة للإسلام وهو المعنى المفهوم عموما للفظ الديمقراطية في الغرب .

لهذا لا يمكن بناء موقف من شخص أو جهة بناء على موقفه من الديمقراطية قبل أن يتبين معناها عنده، إما بالتصريح وإما بقرائن الأحوال، لأن البعض من واقع الهزيمة والضعف قد يستعمل ألفاظا يغُمِّي بها على مقاصده أو يستعمل ألفاظا يريد بها توصيل معناه الصحيح فيخفق أو يزل. والخلاصة أن الديمقراطية إذا لم تحل حراما أو تحرم حلالا فإن معناها مقبول غير أننا نؤكد مع ذلك أن الديمقراطية نفسها حتى بمفهومها وتطبيقها في الغرب ليست نظاما عادلا، وما هي إلا وسيلة لخداع الشعوب، إذ هي العملية التي تتحكم بها وسائل المال ومراكز القوى، فهي وسيلة طغيان وتحكم لكنها مزخرفة مزينة محكمة التغليف.

2 تطبيق الشريعة

مثلما يجري تلميع للفظ الديمقراطية يجري تشويه للفظ تطبيق الشريعة، والمعنى الذي يعتنقه أنصار الشريعة لا يقتصر على تنفيذ الحدود العقابية، فإنها مجرد جزء من العقوبات في أبواب الجنايات والدماء من الفقه، فإن من الشريعة ألا يفرض الحاكم ضرائب على الرعية إلا ما قررته الشريعة من الزكاة والخراج ونحوه، ولا يفعل هذا إلا بشكل مؤقت في حال الضرورة.

ومن الشريعة حق الناس في الظفر بحقهم من الحاكم إذا منعهم منه ظلما أو غفل عنه، ومن الشريعة الحق في مقاومة السلطة والامتناع عن تنفيذ قراراتها الظالمة (وهذا معنى لم تصل له الديمقراطية المعاصرة بعد)، ومن الشريعة حفظ الأوقاف بيد أصحابها وحظر تحكم السلطة فيها، ومن الشريعة سد جوع الفقراء وإغناء المحتاجين وإحسان توزيع الثروات بين الناس وصون كرامتهم ونشر العدل فيهم وحفظ أرواحهم وأعراضهم وأموالهم.. كل هذا وغيره كثير هو من الشريعة. إن الشريعة هي عنوان نظام الحكم الذي يحفظ كرامة الإنسان وعزته ويحميها بالنصوص المقدسة من القرآن والسنة.

3 الثـــــــورة

الثـورة هـي فطـرة فطـر اللـه عليهـا النـاس، بـل والكائنـات، فالحيـوان الـذي يُهـدَّد في نفسـه أو ولـده لا يسـعه إلا أن يُقـاوم ويقاتـل مـا اسـتطاع، وهكـذا الشـعوب إذا ظُلِمَـتْ وأُغلقَـت في وجههـا السـبل فإنهـا تثـور وتكافـح، وحيـث كانـت الثـورة فطـرة فلا بـد أنهـا حـق، وقـد جـاء هـذا في شـرعنا أيضـا، فـالإسلام لـم يقبـل للنـاس أن يُسـتعبدوا بـل جعـل الطاعـة في المعـروف، ومنـع الطاعـة في المعصيـة، فأمـا وقـد اسـتحر القتـل في الأبريـاء واستشـرى الفسـاد وظهـرت الخيانـة والعمالـة وصـار وجـود الحاكـم ضـررا على الأمة.

فقد جـاء الإسـلام بالخـروج عليـه وخلعـه قالهـا أول خليفـة للمسـلمين واضحـة "أطيعونـي مـا أطعـت اللـه ورسـوله، فـإن عصيتـه فلا طاعـة لـي عليكـم" . والثـورة عمـل شـامل وهـو ذروة تغييـر المنكـر، فأولهـا التغييـر بالقلـب ثـم التغييـر باللسـان ثـم التغييـر باليـد، فـإن حصـل العجـز فقـد وجـب الإعـداد، فالمسـلم إمـا في إعـداد للثـورة وإمـا في ثـورة وإمـا في تمكيـن وفتـح، لا يـزال يجاهـد في سـبيل اللـه حتـى يلقـى اللـه، فنحـن في ربـاط إلـى يـوم القيامـة. وبهـذا وحـده اجتمـع رجلان في نفـس المنزلـة، رجـل قُتِـل في جيـش رسـول اللـه بيـن الصفيـن ورجـل في عجـزه وضعفـه قـال كلمـة حـق عند سلطان جائر فقتله، فكلاهما سيد الشهداء.

4 النظام العالمي

النظام العالمي في حقيقته هو النظام الذي أسسه المنتصرون في الحرب العالمية الثانية، ليحكموا به العالم، ومنذ نهاية الحرب الباردة فهو عمليا في مصلحة أمريكا التي هي القوة العظمى المهيمنة في العالم، والإنسانية كلها تدفع ثمنا فادحا باهظا جراء استمراره، لأنه نظام استعبادي يمتص موارد وثروات الشعوب ويستنزفها لصالح تضخيم قوته ودوام رفاهيته، ومنذ زمن طويل يكتب المفكرون في توحشه ولا إنسانيته، ومؤخرا بدأ هذا التوحش يزحف ليصيب الشعوب الأوروبية والأمريكية ذاتها.

وعلى هذا فمكافحة هذا النظام هو واجب كل إنسان حر سواءً أكان مسلما أو غير مسلم، ولكن واجب المسلم أشد لأنه مُكَلَّف برفع الظلم دينا، ولأن الأمة الإسلامية هي أكثر الأمم تضررا من هيمنة هذا النظام العالمي.

ومع ذلك فإن هذا النظام لكونه حقيقة واقعة فلا بد من التعامل معه كواقع، ولكونه نظاما بشريا هو حافل بالثغرات التي يمكن العمل من خلالها واستثمارها، وهذه سيرة كل المصلحين الذين تعاملوا مع واقعهم وغالبوا ما فيه بما فيه، والتمسوا طريقهم الصعب العنيف بوسائل من جنس هذا الواقع المرير وقد استجار النبي بمشرك، واستفاد من العصبية القبلية الجاهلية لبني هاشم، وراعى أحلاف العرب في الجاهلية .

الوطنيــة لفــظ ملتبــس أيضــا مثــل الديمقراطيــة، ولهــذا فالموقــف منهــا مبنــي على فهــم معناهــا لــدى القائلين بهــا، وهــؤلاء القائلــون أيضــا يُفهــم موقفهــم مــن التصريــح والتلميــح مــع قرائــن الأحــوال، فــإذا أريــد بالوطنيــة معنــى حــب الوطــن الــذي هــو فطــرة لــدى الخلائــق كلهــا والســعي إلــى رفعتــه ونشــر العــدل فيــه فنعــم هــذا المعنــى وهــو مــن صميــم الإسلام. وإذا أريــد بالوطنيــة صناعــة انتمــاء بديــل أو انتمــاء مســتقل عــن هويــة الإسلام، ونصــب الوطــن كمعنــى أعلى ومرجعية عليا فهذا معنى مناقض للإسلام.

ويجــب ألا ننســى أن هــذه "الوطنيــة" إنمــا هــي مفهــوم جديــد صنعــه الاحــتلال الأجنبــي في بلادنــا، وقبــل هــذا الاحــتلال لــم يكــن الوطــن يمثــل هويــة بديلــة، أي الاحــتلال الأجنبــي لــم يصنعــه حبــا فينــا ولا إكرامــا لنــا، وإنمــا أراد بــه تمزيــق الأمــة الواحــدة الواسعة إلــى قطــع صغيــرة متناحــرة متفتتــة، وأشــعل بهــذا مــن النعــرات الصغيــرة مــا لــم يكــن يمثــل مشــكلة طــوال تاريخنــا الإسلامــي. ومــع هــذا فإننــا نــرى أن أحــوال أوطاننــا البائســة على كل المســتويات تجعــل هــذا الــخلاف حــول "الوطنيــة" بيــن الإسلامييــن وبيــن التيــارات الأخــرى ترفــا وخلافــا مــؤجلا، إذ كلا الطرفيــن يهمهــم رفعــة الوطــن، ويمكــن للمخلصين أن يتعاونوا حول هذا المتفق فيه.

أمــا مــن يتوقــف في التعــاون مــع الإسلامييــن لأنهــم لا يــرون الوطــن مرجعيــة عليــا فهــذا في حقيقتــه ليــس وطنيــا وإنمــا مــن ألســنة الطغيــان أو الاحــتلال وأتباعهمــا، لأنــه يشــترط أن يتنــازل الطــرف الآخــر عــن مبادئــه نظيــر تعاونــه، وعلى العمــوم، فمثــل هــذا يكــون أضعــف وأضــأل مــن أن يكــون التعــاون معــه مثمــرا أو ثابتــا. وإنمــا تفيــد التجــارب أنهــم يكونــون طعنــة في ظهــر الثــورة لحســاب الطغيــان وأن التعــاون معهــم لــو حصــل في لحظــات اســتثنائية فهــو هــش وســرعان ما ينهار قبل أن يأتي بنتائج.

6 الجماعات والأحزاب الإسلامية

نؤمن أن الجماعات والأحزاب الإسلامية جزء من معركة الحل والإصلاح، برغم ما شاب بعضا منها من الانحراف أو الاستنامة للاستبداد أو الاحتلال، وهؤلاء هم القلة والشذوذ على الحالة الإسلامية، ونرى أن أدوار الجماعات الإسلامية تتكامل ولا تتناقض، وهم كجيش واحد لكن فيه مقدمة وميمنة وميسرة وقلب وساقة وفرق للخدمات والإمدادات وغيرها.

وإذا أتيح لهذه الجماعات الإسلامية قيادات مخلصة وذات كفاءة وغير مصابة بأدواء التعصب والتحزب فإنهم سرعان ما يجدون طريقا للتكامل والتعاون وتوزيع الأدوار والمهمات. والتعاون أمر شرعي قبل أن يكون ضرورة عملية، هو أمر فرضه الله قبل أن تفرضه الهزيمة الحالية، ولا بديل لأحد من هذه الجماعات إلا أن يتكامل ويتعاون مع غيره، لأنه وحده أضعف من أن يخوض المعركة، بل هو أضعف من أن ينجو بنفسه إذا كشّرت له السلطات عن أنيابها.

7 الأحزاب والقـــوى الوطنيـــة

نؤمـن بـأن الإسلام هـو الهدايـة في الدنيـا والفـوز في الدنيـا والآخـرة، ونؤمـن أن كل خيـر في هـذه الحيـاة فـإن الإسلام قـد أوصـى بـه وحـثَّ عليـه، وأن كل شـرٍّ فيهـا فـإن الإسلام قـد نهـى عنـه وحـذر مـن الوقـوع فيـه، ونحـن نحـب الهدايـة لـكل النـاس، ونـود لـو أن كل النـاس اعتنقـوا الإسلام دينـا وهدايـة ومنهجا شاملا.

ولكننـا نعـرف أيضـا أن كثيـرا مـن الظـروف والأوضـاع قـد أصابـت أمتنـا فنتـج عنهـا أن تشـوه مفهـوم الإسلام عنـد بعـض المسـلمين، أو أن بعـض الأفـكار المسـتوردة قـد كان لهـا بريـق فجذبـت إليهـا بعـض القلـوب والعقـول المسـلمة، أو أن عمليـات التشـويه والشـيطنة التـي صبَّتهـا الأنظمـة على الإسلاميـين قـد كوَّنـت صـورة منفـرة، أو أن أخطـاء بعـض الإسلاميـين - الحقيقيـة أو المضخمـة- قـد أدت لسـخط وجفـاء عند بعض المسلمين.

لقـد أنتـج هـذا كلـه كثيـرا مـن المسـلمين الذيـن لا نتهمهـم في الإخلاص والوطنيـة والحـرص على رفعـة الـبلاد ولكنهـم لا يـرون مـا نـرى ونعتقـد مـن شـمولية الإسلام وصلاحيتـه التامـة لإصلاح كل فسـاد. إن موقفهـم هـذا لا يمنعنـا مـن التعـاون معهـم على وجـوه الخيـر والنفـع، ونحـن في هـذا نتبـع نبينـا الـذي حضـر حلـف المطيبيـن وأعلـن أنـه لـو دُعِـي إليـه في الإسلام لأجـاب، بـل ونحـن نحسـن الظـن أن هـذا التعـاون على الخيـر هـو الكفيـل بتصحيـح الصـور المشـوهة فـوق كونـه كفـيلا بتحقيـق الغايـات المنشـودة، لـذا فأيادينـا مفتوحـة لكل تعاون على الخير وإقامة العدل ومكافحة الظلم.